

ردائل الشعوب

المشهد النبوي

أ.د. قاسم حسين صالح
يمجد السياسيون (الشعب) سواء كانوا في السلطة أم في الأحزاب، ويصفون عليه من الصفات ما يجعلنا نراه منزهاً من الأخطاء. والحقيقة أن (الشعب) ردائل بعضها أقيح من ردائل السلطة، بل أن ردائل الشعب، ينطبق عليها في حافات منها قانون الفعل ورد الفعل. فكل السلطات في الدنيا مصابة بالازدواجية.. اعني إنها تبدو للناس بوجه مشرق معاهداته إذا كان في ذلك مصلحة له؛ بل إن استخدامه شاع الآن أكثر من عصر (ميكافيللي)، وصار مبدأ في السياسة التي ما عادت تكثر بتقييم والأخلاق. بالمقابل مارس الشعب ردائله في تعامله مع السلطة، أقيحها- في تاريخنا- قول الحارثيين(صفوة القوم) للحسين: "قلوبنا معك وسيوفنا عليك". وأكثرها ضرراً أن الشعب نجح في قيادته مشاعر التعظيم والتفخيم والأنبهار ورفعهم إلى السماء جاهلاً(والجهل رذيلة) بأن بين هذه الأمور والطفهان قانون نفسي. ولما بطشوا به توهج الشعب على أكثر من ازدواجية؛ بين خاضعين للقائد الضرورة، الزعيم الأوحده، الملك المفضي، خليفة الله في الأرض، وماروزشيين يبررون للحاكم ما يصيبهم منه من الآم ومأس، وبين متفانين له ومانقنين، ومبررين (الباخذ أمي يصير عمي).

ومن ردائل الشعوب أن الانفصال عندها يكون أحياناً أقوى من العقل في تقرير مسائل مصيرية. ابرز شاهد على ذلك: تأييد الشعب الألماني بحماس لمخططات (هتلر) الجهنمية. ولم ينفع الذين يعتقدون بنزاهة الشعوب من الردائل تفسيرهم الأمر بأن الألمان يختلفون عن باقي الشعوب بكونهم يعانون من خلل أخلاقي، فلقد تبين فيما بعد أن مثل هذه الردائل موجودة لدى كل الشعوب وأن تفاوتت حدتها ووسائل التعبير عنها. وسؤال صريح نطرحه: أليست انتخابات الجمعية الوطنية التي مارسها العراقيون تحكم بها الانفصال أكثر من العقل؟ اعني انهم أعطوا أصواتهم لتقديهم وليس لعقولهم، مع إنها كانت تحدياً رائعاً. ولكن ما يجعلنا نطمئن للشعب أكثر من اطمئناننا للأفراد، انه أسرع إدراكاً لأخطائه وأكثر فطنة في التقاط العبرة منها، فلقد صار لدى العراقي يقين بأن لصوته قيمة يعتز بها، وانه لن يسمح لرذيلة الانفصال أن تتحكم به في جولة قادمة ستحدد مصير العراق.

إذا كانت المجتمعات تلتقي في بعض النقاط التي منها تستمد صفة المجتمعية كالتفاعل وما إلى ذلك، فإن أوجه الاختلاف والتماييز فيما بينها تظل فاعلة بأثر عوامل عدة نشأت مع تطور الحياة البشرية وتحول الأفراد من فردية بدائية إلى أقوام وملل ثم أمم، حتى أصبح الناس شعوباً وقبائل، وأصبحت لكل منهم منظومة قيمية وفكرية تميزه، بفضل المواقف والأحداث والتغيرات التاريخية والاجتماعية والمناخية والجغرافية التي طرأت عليه خلال عصور تطوره. اذن العملية الاجتماعية عملية مركبة متفاعلة ناشطة مع الزمن، ولكن هذا لم يمنع من وجود ثوابت سلوكية ونفسية لكل فئة ولكل مجتمع، بعد التمسك بها سبباً لحياتها ووجودها والتوصل عنها محواً لشخصيتها وتاريخها. ومن ذاك نجد أن مجتمعنا العربي عموماً والعراقي بوجه خاص هو مجتمع قبلي نسبياً، لا يزال يعتمد في الأساس على العشيرة كونها الأصل الجدوري لتكوينه، بالرغم من اعتناقه الإسلام الذي انبثق من الجزيرة العربية قبل أكثر من أربعة عشر قرناً، وحده من أولى أولوياته رفع الولاء عن القبيلة أو العشيرة ونقله إلى الإسلام كون الله لا يميز بين فرد وآخر لا بلون ولا بنسب ولا شيء في هذا وذاك إلا بالتقوى. فاصبح الفرد العربي والعراقي في صراع بين الفكر القبلي وعصبانيته وبين مثل وقيم تضررها العقيدة الاسلامية غير المتصاعمة لفرق قائمة على العنصر أوالقومية

أوالمذهب. وبنتيجة ذلك نشأت مجموعة من العلماء والمتفقيين الذين حاولوا تكييف الشرائع الاسلامية بما يتناسب والخصوصية النفسية والاجتماعية لكل قوم، في عملية تبادل وتضاعل لم تخل من اصطدامات ومشكلات تبرز بين الفينة والاخرى، وهي تحصيل حاصل لمجتمع دينه واحد ولكن باثت عاداته وتقاليده وقناعاته الاجتماعية متفاوتة بحسب جذورها العشائرية. إن السلوك العشائري قد يشتد لدى الفرد في زمن الأزمات والكوارث، ذلك انه يعود اليه عندما تلم به محن المدينة وشدايدها القاسية والضاغطة. اذن الحاضنة العشائرية للفرد هي مهرب يجنح اليه في الاوقات الاستثنائية، وذلك لأعتقاده بأنه السكن أو الأطار الذي لا بد من أن يلمه ويحتضنه عندما تدلهم به الحياة، ولذا ايضاً نراه يتحول سريعاً عنه حينما يكون في سعة من العيش الآمن والمستقر، فيعود الى الانصياع لفردات وتطورات الحياة المدنية وما يرافقها من مفاهيم التحرر من القيود والتعامل بعقلانية بعيداً عن التشدد والتعصب والانفعال التي قد تكون من بين سمات المجتمع القبلي؛ دون إنكار ما للعشيرة من دور في الحفاظ على لحمية المجتمع، ولكن على أن لا يسمح تحت أي ظرف للجهات السياسية وانظمة الحكم بتحقيق مصالح ضيقة بالاتكاء على قوة العشائر ونفوذها التأثيري فتكون وسيلة ضغط، بل ضرب للمجتمع، كما حدث بعد حرب الكويت في تعامل النظام السابق مع

فيا دراسة ميدانية لعينة شاملة من سكان محافظة واسط

نور من سنن العشيرة ودعوة لسيادة قوانين الدولة من جديد

82% يعتقدون أن (الفصل العشائري) أسهم فيا استمرار دالة التسبب الأمنا فيا الشارع العراقي

علي كاظم الشمري

جامعة واسط



العشائر) الجهة المعول عليها والموكول لها حماية الناس في ظل ضعف قدرة أجهزة الأمن على ضبط الشارع. * أوضح (٩٣) ان العراقيين يحتاجون الى آلية تنقيف وتوعية يفهمون من خلالها مفهوم العشيرة في المجتمع ومسؤولياتها وصلحاياتها وحدودها، ضمن إطار مؤسسات الدولة التي تمثل القاسم المشترك التاريخي لحقوق المواطنين.

* افراد العينة من قاطني الريف، كانوا اكثر تمسكا بهيمنة العشيرة واحكامها وتقاليدها من اقرانهم القاطنين في المدينة. إن هذه النتائج تشير بوضوح الى وجود تنافر أو عدم اتساق بين الاتجاهات العشائرية وبين السلوك العشائري لدى الفرد العراقي، إذ أوضح هذا الاستطلاع بجلاء أن لهذنه العينة من العراقيين نفوراً وعدم تقبل نفسي لسنن العشيرة، في الوقت الذي لا تزال سلوكياتهم تصطبغ بالأداء العشائري لا سيما وقت الأزمات التي تتطلب مرجعاً ما لحلها. وتعد هذه الازدواجية مفهومة في ظل تفكك مؤسسات الدولة وعجزها عن تفعيل آلية القوانين المدنية التي كافحت اجيال من خيرة أبناء العراق لسنها وحمايتها. ومع ذلك، فإن مجرد الوعي بالعواقب السلبية التي ينطوي عليها التمسك بالقوانين العشائرية، إنما يؤشر رسوخ ثلاث سمات في الشخصية العراقية: بعد النظر، والذكاء، والتمسك بالهوية الوطنية!

حكم العشيرة، كون العشيرة أكثر تقبلاً وذاتية في أحكامها. * افاد (٧٥%) من افراد العينة بأنهم عانوا الكثير بسبب (السنائين) أي قوانين العشائر، ويريدون ان يروا سيادة القانون في فض المنازعات التي تحصل بين الناس. * عزا (٨٢%) من افراد العينة حالة التسبب التي يشهدها الشارع العراقي الآن، الى استغلال الكثيرين لوضعهم العشائري الذي يوفر غطاء لاخطائهم مادامت المسألة لاخطائهم مادامت المسألة

العشائر بتحويلهم الى مراكز للسلطة، حتى تحولت العشيرة من خيمة جامعة لأبنائها الى مراقبة دائية في البحث عنهم، وكان لذلك تبعات سلبية بالغة لا تزال فاعلة حتى اليوم. ولاستطلاع مدى سيادة التفكير العشائري في العقلية والذات العراقية، قمنا باستطلاع آراء عينة شاملة من أبناء محافظة (واسط)، مؤلفة من (١٠٠) فرد من الجنسين، ينتمون الى الريف والحضر، ومن تحصيلات دراسية مختلفة: (امي/ ابتدائية/ متوسطة/ إعدادية/ بكالوريوس/ دراسات عليا)، من خلال استبيان تضمن عدداً من الأسئلة، من بينها: * ما الذي تمثله لك العشيرة؟ * من الأهم برأيك: العشيرة، أم المدينة/ القرية، أم الوطن؟ * الى أي مدى تمثل لك العشيرة مصدراً لتحقيق الأمن في المجتمع؟ * هل ترغب بان يحكم الفرد بقوانين العشيرة، أم بقوانين الدولة؟ * ما برأيك المشكلات والأزمات الاجتماعية التي نجمت عن الصراع بين قانون العشيرة وقانون الدولة في العراق؟ وقد جاءت النتائج على الوجه الآتي: * في الوقت الذي افاده به (٢٣%) من العينة بأنهم يؤيدون أن تكون العشيرة مصدراً لسنن القوانين، أكد الـ (٨٧%) الباقون بأنهم يؤيدون أن تكون الدولة ومؤسساتها مصدراً لسنن القوانين. * النساء يتفوقن على الرجال في ميلهن لتفضيل حكم الدولة على

الإصابات النفسية لدى العسكريين الأمريكيين في العراق

يعود المحاربون وتبقى الكوابيس!

وبحسب مجلة (نيو انكلاند) للأدوية فإن ما لا يقل عن (١٧%) من الجنود الذين خدموا في العراق، تعرضوا إلى اضطراب انفعالي، وهي نسبة مساوية لما حصل في فيتنام، فأغلب العائدين يعانون من اكتئاب، وقلق، وكوابيس، وهيجان، واضطراب وضغوط ما بعد الصدمة (PTSD) كما يشير منتقدو الحكومة الأمريكية إلى إخفاقها في تشخيص المصابين نفسياً، ففي الفحص النفسي الذي يجري على الجنود، يقدم لهم استبيان يتألف من صفحتين، يتضمن خمس أسئلة فقط

ترجمة: هارث يوسف*
(آبي بيكيت) البالغة من العمر (٢٢) عاماً، تعمل مجندة في الجيش الأمريكي بالعراق، عادت إلى بلدها في العام ٢٠٠٤، إلا أنها اكتشفت غير مرة أنها لا تزال هناك، إذ تقول: "تنتابني كوابيس، أشاهد خلالها إطلاق نار واضطرابات عنيفة، لأجد وسط كل هذا عائلي، كما لو إني لا أعرف أين أنا؟". لقد بات من الصعب على (آبي بيكيت) أن تتذكر كيف تكون المشاعر الطبيعية، فهي تعاني من الذعر وسط زحام الأسواق ومحلات التبضع الكبرى، لشعورها بأنها معرضة لهجوم مالم تكن مسلحة؛ بل حتى

شاركت فيه الجمعية النفسية العراقية

عدد جديد من (المجلة الالكترونية للعلوم النفسية)

بغداد / الإنساآ والمجتمع

تضمن العدد أيضاً مجموعة من البحوث والمقالات لباحثين عررب من مختلف الاختصاصات العلمنفسية والطبنفسية، من بينها: (أمراض نفسية تتحدى العولة) للدكتور (محمد أحمد النابلسي) من لبنان و (العولة ونوعية الحياة) للدكتور (يحيى الرخاوي) من مصر و(إدارة الإبداع؛ النداء المجهول في عصر العولة) للدكتور (عبد الستار إبراهيم) و(اكتئاب المثقف العربي؛ المظهر السيكولوجي) للدكتور (خليل محمد فاضل خليل) من مصر و(العلم، التفكير العلمي والإرهاب) للدكتور(قدري حضي) من مصر و(بوش الأبن والفشل الشخصي) للدكتور(عدنان حب الله) من لبنان. كما تضمن العدد الحالي استعراضاً لأجندة عدد من المؤتمرات النفسية العربية، من بينها (المؤتمر الدولي لجامعة الأقصى) فضلاً عن الأبواب الثابتة للمجلة: مراجعة كتب، مراجعة مجلات، أطباء وأساتذة علم النفس، مستجدات الطب النفسي، مصطلحات نفسية.

سناء محمد حيدرة

ذات ألوان داكنة؛ بينما يمكن لهذا الشخص نفسه حين يتخلص من الاكتئاب ويعود إلى حالته الطبيعية أن يرسم لوحات من الزهور وأشياء تدعو إلى البهجة والفرح ويلونها بألوان زاهية. وينطبق الأمر نفسه على حالة القلق والخوف؛ إذ يعبر المبدع عنها بالكلام أو الرسم بما يعكس ما يدور بداخله من مشاعر وأفكار. كذلك وجد أن اللوحات التي يرسمها المرضى العقليون ممن يعانون من الهلاوس (وهي أصوات يسمعها الإنسان أو أشكال تترأى أمامه دون أن يكون لها وجود حقيقي)، تعكس العقد والصراعات في داخلهم، من خلال ما يبرز فيها من غموض وحيرة وتداخل في الأفكار. ولعل الرسم هو إحدى الوسائل التي يمكن للمعالجين النفسيين استخدامها لاستكشاف الكثير من العقد والأفكار المكبوتة داخل العقل الباطن لهؤلاء المرضى، حين يتم السماح لهم بالتعبير الحر عما يريدون عن طريق الرسم؛ ثم تحليل ما يقومون بإسقاطه على الورق. وفي الأعمال الفنية لكبار الفنانين العالميين ما يدل على خلفياتهم النفسية، من خلال العلامات والدلائل التي تحملها الأشكال والألوان التي تزخر بها تلك الأعمال الفنية الشهيرة، فهناك لوحات خالدة، تدل ألوانها وخطوطها وفكرتها على ما بداخل عقل صاحبها من مشاعر الحزن أو القلق أو ما أصابه من اضطراب وتداخل وتشويش. وفي الجانب الآخر هناك لوحات تبعث رؤيتها عند النظر إليها لهولة الأولى على الارتياح، مثل لوحة (الموناليزا) أو (الجيوكاندا) الخالدة التي تمثل وجهها بيتسم ويحمل الإيحاء بالارتياح والتفاؤل لكل من يراه. إذن، عن طريق الفنون نستطيع الغوص في أعماق النفس الإنسية



والابتكار، ومن ناحية أخرى فإن المعاناة الإنسانية والظروف والمؤثرات التي يتعرض لها الإنسان هي التي تظهر هذه الموهبة، ومن هنا كان الارتباط بين الإبداع والحالة النفسية. ويرى التحليل النفسي أن الفنون تعكس الانفعالات والمشاعر الداخلية للإنسان؛ فالذي يعاني من الاكتئاب النفسي مثلاً ويرى الحياة كئيبة والدنيا كلها يأس وظلام، يتجه إلى رسم أشكال سوداء، وأشياء مشوهة

يقولون في الأمثال الشعبية: (الجنون فنون)؛ وقد أثبت العلم وجود علاقة قوية بين الحالات الانفعالية الشديدة التي تسبب الاضطراب النفسي والتي يطلق عليها عامة الناس تسمية (الجنون)؛ وبين الإبداع الفني الذي يظهر في صورة أعمال أدبية أو فنية معبرة عن العالم الداخلي للإنسان، تظهر فيها عبقرية استثنائية غير معتادة. وهذه محاولة لاستكشاف هذه العلاقة بين الإبداع الفني والانفعالات الإنسانية الداخلية.